عن ترجمة الأدبيات الترجمية إلى اللغة العربية:
أنطوان برمان نموذجا

غسان لطفي

قسم الترجمة – جامعة قسنطينة1

ملخص :

يتناول البحث بالدّراسة الترجمات العربية للأدبيات الغربية عامة و أعمال أنطوان بيرمان خاصة، باعتباره دارسا ومنظّرا و مؤرخا للتّرجمة. لقد ترك لنا أنطوان بيرمان باعتباره ناقدا و محللا للترجمات عددا كبيرا من الدراسات النقدية لترجمات في مجالات مختلفة من شعر و ملحمة و مسرح و نثر و فلسفة و تحليل نفسي، و من هذه التجارب انبثقت تأملاته النظرية الرامية إلى بناء نموذج لنقد الترجمات.

Abstract

In this paper we shed some light on the Arabic translation of western classics, and particularly the works of Antoine Berman; the famous translation scholar, theoretician, and historian. As a critic in the field of translation, Berman left a huge number of critical studies about translations in different fields such as poetry, epic poetry, theatre, prose, philosophy and psychoanalysis, from which he developed his theoretical points of view.

Key Words: Arabic Translation -Translation Scholar -Critical Studies- Psychoanalysis

في تصديره للترجمة الفرنسية لكتاب هانس روبرت ياوس الموسوم بعنوان "من أجل جمالية للتلقي"، كتب جان ستاروبنسكي (1978: 7) يصف حالة التأخر التي يعانيها انتقال نصوص ياوس إلى الفضاء الثقافي الفرنسي و يقول: " في حين ترجمت دراسات ياوس الرئيسة إلى الإسبانية و الإيطالية والصربية–الكرواتية و اليابانية (...)، لم تعرف أعماله في فرنسا إلى يومنا هذا إلا عبر مقالتين أو ثلاث مقالات". و يبقى ياوس، في نظر ستاروبنسكي، أوفر حظا من نقاد كبار آخرين مثل سبيتزر *Spitzer* و آورباخ *Auerbach* اللذين انتظرا وقتا أطول قبل أن ينتقلا إلى الضفة الأخرى من نهر الراين. كتب ستاروبنسكي هذا الكلام سنة 1978، في حين نشرت الدراسات المتضمنة في الكتاب في فترة تتراوح بين أواسط الستينات و أواسط السبعينات، أي أن "التأخر" في ترجمة ياوس إلى الفرنسية يقاس بمعدل لا يتجاوز عشر سنين! و هي الفترة الزمنية التي يقول الناقد البريطاني تيري ايغلتون إنها تمر قبل أن تنتقل الأفكار من فرنسا إلى إنكلترا. و لنا هنا أن نسأل، إن كانت هذه هي حال إنكلترا مع فرنسا، و فرنسا مع ألمانيا، فماذا عنا نحن العرب؟

لا شك أن السؤال مستغن عن أي جواب، بل انه سؤال بلاغي لم يكن أصلا ينتظر جوابا ! لنقل إذا باختصار إن الهوة سحيقة بين ما يكتب في العالم الغربي (فنحن لا نترجم و لا نأخذ، إلا فيما ندر، إلا من العالم الغربي أو بعض العالم الغربي، و تلك لوحدها مشكلة تستحق أن تدرس) و بين ما يصلنا منه عن طريق الترجمة. و يكفي دليلا على ما نقول أن نعرف أن كتاب ياوس المذكور آنفا لم يترجم على حد علمنا بعد إلى العربية، أو تلك هي الحال على الأقل إلى سنة 2002، تاريخ الطبعة الأولى لدراسة الدكتور سامي إسماعيل عن نظرية التلقي الألمانية، و التي لا نجد في قائمة مصادرها ترجمة عربية للكتاب، في حين نجد ترجمات عربية لدراسات أخرى لهانس روبرت ياوس.

لسنا هنا بصدد جلد الذات، لكن علينا أن نعترف أن حركة الترجمة في العالم العربي لمختلف فروع العلوم، والإنسانية منها خصوصا، لا تزال إلى حد كبير تراوح مكانها. صحيح أن الأرقام المثيرة للهلع التي قدمها تقرير التنمية البشرية العربي لسنة 2003 مثلا هي أرقام سوداوية أكثر مما يجب و هي ليست دقيقة كما بين ذلك عدد من الباحثين و من بينهم ريشار جاكمون (2007)؛ و الأمر نفسه ينطبق حتى على معطيات منظمة اليونسكو ممثلة في مؤشر الترجمات *index translationum* التي بينت الباحثتان أنابيس بوكوبزا و جيزال سابيرو (2008) ما يعتورها من نقص رغم أهميتها التي لا تنكر. و صحيح أيضا أنه ثمة محاولات منهجية جادة يجب أن لا نبخسها حقها، مثل مشروع الألف كتاب في مصر الذي أشرف عليه لمدة معينة الدكتور جابر عصفور أو

نتاجات دار المأمون في عراق السبعينات و الثمانينات ذات الجودة العالية، أو سلسلة عالم الفكر في الكويت أو جهود وزارة الثقافة السورية التي نشرت 1400 ترجمة بين سنتي 1960 و 2004 و كذلك المنظمة العربية للترجمة و مقرها بيروت. صحيح إذا أن هنالك جهودا يجب الاعتراف بها، لكن هذه الجهود تبقى ناقصة، خصوصا بالنظر إلى ما فاتنا من نصوص الماضي و إلى وتيرة ما يكتب و ينتج خارج العالم العربي في الحاضر، كما أن هذه الجهود في كثير من الأحيان مشتتة لا تنسيق فيها بين ما ينتج في المشرق و ما ينجز في المغرب على سبيل المثال، ناهيك عن قيمة الترجمات و هي المسألة التي سنتناولها بالفحص بعد قليل، في مجال معين محدد هو الأدبيات الترجمية.

أما عن تشتت الجهود بين المترجمين و ما يترتب عنه من ضياع للوقت – وهو ترف لا يمكننا تحمله – فيمكن تلمسه في مجال غير بعيد عن الدراسات الترجمية، ألا و هو الدراسات اللسانية و الأدبية. فكتاب دي سوسير مثلا Cours de linguistique générale لم تصدر ترجمته الأولى إلا بعد ثمانية و ستين عاما من صدوره (1916-1984) و كذلك هي الحال تقريبا مع كتاب فلاديمير بروب Morphologie du conte (1928-1986) أو كتاب نورثورب فراي Anatomy of Criticism (34 عاما: 1957-1991). هذا من جهة التأخر، أما من جهة إهدار الجهد، فكتاب دي سوسير ترجم في ثلاث سنوات خمس ترجمات كاملة في خمسة بلدان عربية بخمسة عناوين مختلفة ! و بالفارق الزمني نفسه ترجم كتاب بروب مرتين أما كتاب فراي فصدرت له ترجمتان في السنة نفسها. ولأجل ذلك نتفق تماما مع يوسف وغليسي (2004: 4) عندما يرى أنه ليس من العدل أن يترجم كتاب رولان بارث le plaisir du texte أربع ترجمات كاملة يشتغل عليها سبعة مترجمين في بضع سنين في حين أن كثيرا من النقاد الآخرين لم تقارب نصوصهم بعد مثل هارولد بلوم و كثير من نصوص جاك ديريدا (لولا الجهد الفردي الكبير الذي يبذله العراقي كاظم جهاد حسن) و غيرهما كثير. و إن قاطعنا هذه المعطيات مع الجرد الذي قام به سعيد علوش فسنجد أن نص رولان بارت المذكور ترجم في سنتين ثلاث ترجمات كاملة في المغرب الأقصى لوحده عمل عليها أربعة مترجمين ! و ليس هذا النص استثناء فكثير من نصوص بارث الأخرى – مثلا لا حصرا – حصل معها الشيء نفسه في وقت صار فيه هذا الناقد الفرنسي الكبير ما يشبه الموضة. و هو ما يطرح السؤال ملحا حول استراتيجيات الترجمة و سياساتها في العالم العربي. و لنا أن نتخيل ما يجره تركيز الترجمات على نصوص معينة و غياب التنسيق من فوضى مصطلحية، و المصطلحات مفاتيح العلوم كما نعلم... قد يقول قائل انه لا يمكن أن نمنع مترجما أو ناشرا من أن يتصدى لنص ما من النصوص، لكن حدا أدنى من التنسيق صار لازما، وقد

يقول آخر إن تعدد مترجمات نص واحد هو نوع من الثراء و أن المقابلات المتنوعة للمصطلحات سيلغي الصالح منها الفاسد، لكن غياب نشاط نقدي منهجي للترجمات، يضاف إليه تشبث كل طرف بما عنده، سيبقي على كل المترجمات، كل منها في بلد معين، و بالتالي على فوضى المصطلحات و تضارب المفاهيم.

و أما قيمة المترجمات فتلك مسألة أخرى: فعدد كبير من النصوص المترجمة ترجمت عن نصوص هي ذاتها في الأصل مترجمة و ليس عن النصوص الأصل، مثل نصوص الشكلانيين الروس التي ترجمت انطلاقا من ترجمتها الفرنسية التي أنجزها تزفيتان تودوروف وكتاب "قضايا الشعرية" الذي ترجم عن النسخة الفرنسية التي ترجمت بدورها عن النسخة الإنكليزية التي ترجمت عن الأصل الروسي ! أي أن الكتاب العربي صار على بعد ثلاث مراحل من كتاب ياكوبسون ! و إن كان سعيد علوش يرى أن هذا الوضع "شر لا بد منه" فنحن لا نشاطره الرأي بل نرى ذلك هدرا للوقت و الجهد. و المترجمات نفسها من حيث قيمتها تصيب القارئ العربي – إن كان عارفا بالنص الأصل – بخيبة أمل شديدة خصوصا إن كان المترجم علما معروفا في مجال النصوص التي يترجمها و صارت بذلك ترجماته نوعا ما "مكرسة"، و سنكتفي هنا بمثال تعاملنا معه عندما كتبنا مذكرة الماجستير، ألا و هو ترجمة الناقد و المترجم منذر عياشي لنص رولان بارث Sur la lecture ضمن الأعمال الكاملة المترجمة له من قبل عياشي، و هو من هو. و من المؤسف أن ترجمة عياشي لهذا النص لا تبارح فقرة – أو إن شئت قل جملة – واحدة منه دون أن ترتكب أخطاء أقل ما يقال عنها أنها مغضبة و تنتج بكل بساطة نصا لا يقرأ، و يمكننا أن نتخيل ما ارتكبه عياشي في حق نصوص أخرى لبارث ذات الشاعرية والإلغاز العاليين مثل كتابه *amoureux fragments d'un discours* . وحسبنا من عياشي ترجمته هذا النموذج و غيره كثير:

Pour le militant d'avant-garde, il faut avoir lu Bataille, Artaud

التي تعطينا في نص عياشي: فبالنسبة للمناضل الطليعي يجب أن يكون قد قرأ 'المعركة' و 'آرتو'.

قلنا إن القارئ الذي يعرف النص الأصل سيخيب أمله عند قراءة مترجمات كهذه، لكن المشكلة الأكبر تكمن في القارئ الذي لا يعرف اللغة الأجنبية و الذي تخاطبه الترجمة بالأساس فتعتبر بالتالي مدخله الوحيد إلى النص الأجنبي، و هنا تطرح مسألة العقد الأخلاقي الذي يربط المترجم، ليس فقط بالنص الذي ينبري لترجمته ولكن بالقارئ أيضا. ونسأل: كيف يقع مترجمون متمرسون في أغلاط من هذا النوع؟ أهو استخفاف بالنص المترجم؟ أم استخفاف بالقارئ العربي و شعور من قبل المترجمين بأنهم "بابه" الوحيد (بالمعنى الفضائي وحتى العقائدي للكلمة) على النص الأجنبي، مما يولد عندهم إحساسا ما بأنه "لن ينتبه أحد" أو بأن القارئ العربي

المتوسط خصوصا لن يناقش نص الترجمة و سيقبله مهما بدا له غريبا و سينسب هذه الغرابة إلى كاتب النص الأصل أو إلى عجزه هو كقارئ عن أن يفهم؟...هي أسئلة نكتفي هاهنا بطرحها فلا السياق و لا الحيز يسمحان لنا بأكثر من ذلك.

الأدبيات الترجمية مترجمة إلى العربية:

لا يختلف الوضع كثيرا بالنسبة لترجمة النصوص النظرية الترجمية بل ربما يزداد سوءا، فلا تزال العديد من النصوص المؤسسة لعلم الترجمة – قديمها و حديثها – بلا ترجمة، و يكفي مثالا على ذلك نص فالتر بنيامين الذي شغل الدارسين و صدرت له لحد الآن على الأقل ترجمتان فرنسيتان و أخرى إنكليزيتان وكتبت عنه دراسات و شروحات عديدة، لكن لم ينبر مترجم عربي واحد لنقله رغم أنه لم يعد نص غريبا علينا بل صرنا نرى الكثير ممن يكتبون عن الترجمة في العالم العربي يحيلون إليه. و الأمر نفسه يقال عن السواد الأعظم من نصوص المنظرين الفرنسيين و الإنكليز و الألمان و الروس...الخ. هنالك طبعا بعض الاستثناءات الجديرة بالذكر مثل ترجمة كتاب فينوتي *translator's invisibility* و كتاب أندري لوفيفير *Composing the Other* وكتاب أو كتابين لجورج مونان مثلا وخصوصا عدد من كتب المنظرين الإنكليز والأمريكان مثل بيتر نيومارك و يوجين نيدا. و ينبغي هنا أن نشير إلى أن أغلب ما ترجم من نصوص في هذا المضمار كان – على قلته – منقولا عن الانكليزية، لغلبة هذه اللغة في الشرق العربي – حيث تنجز أغلب الترجمات – على غيرها من اللغات الأجنبية. على أنه لا بد أن نذكر أن المنظمة العربية للترجمة خرجت قليلا عن هذه القاعدة، فإلى جانب ترجمة كتاب ادفينغنتسلر *contemporary translation theories* قامت المنظمة بنشر ترجمة لكتاب لادميرال *théorèmes pour la traduction* وكتاب سيليسكوفيتش وليديرير *interpréter pour traduire* المؤسس لما يعرف بمدرسة باريس و كتاب أنطوان بيرمان *la traduction et la lettre* الذي سنتحدث عنه بعد قليل.

أما عن قيمة المترجمات و مدى الجدية التي تنجز بها فتلك أيضا مسالة أخرى: و نكتفي هنا بمثال ترجمة نجيب غزاوي لكتاب ميريام سلامة- كار *abasside la traduction à l'époque* وهي الترجمة التي نراها رديئة، بل لا نظننا نغالي إن قلنا انه يجب ترجمة الكتاب من جديد لأن الناقل ارتكب أخطاء قاتلة في "ترجمة" اقتباسات سلامة-كار من النصوص العربية القديمة كالجاحظ و حنين بن اسحق و علي بن الحسين المسعودي. كتبنا كلمة "ترجمة" هكذا بين مزدوجتين عامدين متعمدين: فهذه الاقتباسات ترجمتها الكاتبة لغرض

إدراجها في مؤلفها المكتوب بالفرنسية، لكن المترجم عندما نقلها إلى العربية ترجم من النص الفرنسي للاقتباس و كأنه الأصل بدل أن "يعيده إلى وطنه" بأن يبحث عنه في مظانه من الكتب و ينقله مباشرة. و كانت نتيجة ما فعله هي أننا نقرأ نصوصا يتكلم فيها المسعودي مثلا بأسلوب القرن العشرين و مفرداته و تراكيبه! و للقارئ أن يحكم بنفسه:

" يقول المسعودي: ما أن تسلم المتوكل السلطة حتى ألغى التفكير الحر و المناقشات الفلسفية و كل ما كان بثير العقول إبان حكم المعتصم و الواثق و المأمون و أعاد السلطة إلى المذهب التقليدي و الخضوع للتقاليد الدينية وطالب من رؤساء مدرسة الحديث تعليم الحديث و كذلك العقيدة و العبادات التي اعتمدتها السنة..." (1998: 71) بينما لو بحثنا عن النص الأصل في مروج الذهب و معادن الجوهر فسنجد: "و لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر و المباحثة و الجدال و الترك لما كان عليه الناس في أيام المعتصم و الواثق و المأمون و أمر الناس بالتسليم و التقليد و أمر شيوخ المحدثين بالتحديث و إظهار السنة و الجماعة" (1990.ج4: 103-104). ربما لم ينتبه المترجم إلى ما فعل و تلك مصيبة، أو أنه انتبه و لم يكلف نفسه عناء البحث في بطون الكتب عن الفقرات المعنية و تلك برأينا مصيبة أعظم أو أنه انتبه و بحث و لم تكن في متناول يده أو كانت و لكنه أراد أن يقربها إلى القارئ المعاصر بأن "يترجمها" إلى اللغة الحديثة، و في الحالتين الأخيرتين كان يجب أن ينبه القارئ، لكنه لم يكتب مقدمة.

أنطوان بيرمان: الترجمة والحرف

شكل المترجم و الفيلسوف و المنظر الفرنسي أنطوان بيرمان ما تسميه باربارا غودار "المنعرج الأخلاقي" في الترجمة. و كان بحق أحد الذين أعطوا للترجمة و علومها مكانة متفردة غير خاضعة للمباحث الأخرى التي تنازعتها على مر الزمن و فرضت هيمنتها عليها (كالأدب و اللسانيات...الخ.). و لا تزال المفاهيم التي قدمها والمصطلحات التي صاغها أو أنزلها على الفعل الترجمي (الحرفية، أخلاقية الترجمة، تحليلية الترجمة، التجربة، التأمل، الآخر و الغيرية...الخ.) تثير اهتمام المترجمين و من ورائهم المهتمين بكل ما يرتبط بالثقافات و العلاقات بينها، سواء تعلق الأمر بمن ساروا على نهجه و لو إلى حد ما (كلورنس فينوتي) أو بمن انتقدوه (مثل آني بريسي). المهم أنه صار محطة لا يمكن المرور بها دون التوقف عندها. و يمثل مساره الذي توقف للأسف بموته المفاجئ تجسيدا حيا لتصوره الشمولي و التأملي للترجمة و لعلم الترجمة ، فهو أولا مترجم لعدد من النصوص الألمانية (نوفاليس...الخ.) و خصوصا لروايات من الأدب الأرجنتيني (روباستوس و روبرتو آرلت) و هو ثانيا مؤرخ

للترجمة، و كتابه *l'épreuve de l'étranger* يعد من أجمل ما كتب عن الترجمة في ألمانيا الرومانسية و كتابا "رومانسيا" بحق. ثم أنه ثالثا ناقد و محلل للترجمات فلقد ترك لنا عددا كبيرا من الدراسات النقدية لترجمات في مجالات مختلفة من شعر و ملحمة و مسرح و نثر و فلسفة و تحليل نفسي، و من هذه التجارب انبثقت تأملاته النظرية الرامية إلى بناء نموذج لنقد الترجمات – تجسد في ما يتعلق بالشعر – في كتابه *pour une critique des traductions, John Donne* و في ما يتعلق بالنثر في ما سماه النزعات التشويهية التي يعالجها في الكتاب الذي نتحدث عن ترجمته اليوم.

المترجمة العربية:

الحق أن المترجمة العربية لكتاب أنطوان بيرمان مخيبة للأمل و مليئة بالأخطاء التي تتوزع على النص بمعدل خطأ واحد على الأقل في كل صفحة. و نحن هنا نحتسب الأخطاء التي تؤدي إلى إنتاج معاني مخالفة أو حتى مناقضة لمعاني جمل النص الأصل أو التي تخل بنسيجيته أو بنسق مصطلحاته و مفاهيمه أو التي تجعل قراءته غامضة و غير مفهومة، لأننا لو احتسبنا كل ما في النص من جمل ركيكة لارتفع المعدل إلى أكثر من ذلك. و المحير في الأمر أن المترجم – د. عز الدين الخطابي – ليس بعيدا عن الفرنسية، فهو مغربي درس في فرنسا و حصل فيها على الدكتوراه في الاثنولوجيا و ليست هذه أول ترجماته من الفرنسية.

1– على عتبات النص:

تبدأ رحلتنا المتعبة مع مطبات المترجمة حتى قبل أن نفتح الكتاب، فعلى ظهره نقرأ : "...و قد شدد برمان بهذا الخصوص على **'ترجمة الحرف'** التي تقوم على مبدأ نقل العمل الأجنبي بأسلوب يجعلنا لا نشعر بأن هنالك ترجمة، أي بما يعطي الانطباع بأن المؤلف كان سيكتب الشيء نفسه، لو أنه كتب نصه باللغة المترجمة" ! و ليست المسألة مسألة خطأ يكون قد ارتكبه الناشر لأن هذه الفقرة مقتطعة من نص المقدمة التي صدر بها عز الدين الخطابي لترجمته (ص 11). و هذا الخطأ ليس بالهين لأن الفقرة بكل بساطة تقول عكس ما يقوله برمان على طول كتابه بل إنها تمثل التعريف الذي يعطيه المفكر الفرنسي للمبدأين اللذين تقوم عليهما الترجمة التي ينتقدها، كما أن هذا الخطأ ليس الوحيد في نص المترجمة فلقد وقعنا على عدد كبير مما يشابهه لن يكون في إمكاننا أن نعرضها كلها لضيق المساحة على أننا سنذكر بعضها بعد قليل، على سبيل المثال لا الحصر.

علاوة على المقدمة، أردف الخطابي مترجمته بثبت تعريفي حاول أن يقدم فيه شرحا لما اعتبره أهم المفاهيم التي استخدمها برمان، و هو أمر لا بد أن نحمده له لكننا مع ذلك نطرح السؤال عن جدوى عمل كهذا عندما

نلقي نظرة على المصطلحات التي اختارها. فمصطلحات "تحليلية الترجمة" و "الترجمة التحويلية" *hypertextuelle* و "ترجمة الحرف" و "الترجمة المتمركزة عرقيا" و "العقلنة" كلها مشروحة في متن الكتاب، و المترجم لم يزد على أن أعاد صياغة شروح برمان لهذه المفاهيم، بينما غابت عن الثبت مفاهيم أخرى أساسية لفهم بعض المفاهيم البرمانية و التي اكتفى المفكر الفرنسي بذكرها، و من بينها مثلا مفهوما "الأركيولوجيا" (فوكو) و "الغراماتولوجيا" (ديريدا) اللذين جعلهما برمان نموذجين يؤسس على نسقهما علم الترجمة كما يتصوره، و مفهوما "التجربة" و "التأمل" اللذين كان يمكن للمترجم الإضاءة عليهما بردهما إلى الأفق الفينومينولوجي الذي يعطيهما أبعادهما و دلالاتهما. و قل الشيء نفسه عن ثبت المصطلحات الذي يلي الثبت التعريفي، ففيه الكثير من الكلمات "العامة" التي لا تحتاج إلى أن تدرج في مسرد من هذا القبيل و خصوصا أن المترجم لم يترك "مصطلحا" في متن النص إلا و أورده بأصله الفرنسي، بل أنه فعل ذلك بشكل مبالغ فيه أثقل على القراءة فضلا عن أنه لم يكن دقيقا فيما فعل فهو يترجم مصطلح *adaptation* مرة بالاقتباس و مرة بالتكييف و مصطلح *sur-traduction* مرة بالترجمة الزائدة و مرة بالترجمة الأعلى كما أنه يترجم بعبارة عامة هي "الأعمال الأدبية" مفهوما مركزيا عند أنطوان برمان هو *les œuvres* الذي جر عليه نقد مخالفيه الذين يرون في فصله هذا بين بعض الأعمال الكبيرة و سائر الأعمال الأدبية الأخرى فصلا غير مؤسس و ذاتيا إلى حد كبير.

نسج النص:

في نص يتحدث كاتبه عن الترجمة الحرفية التي تحترم نسيج النص، ما وجدناه هو أن مترجمه أتى بالعكس تماما، و كأننا به يكرر ما لاحظه أنطوان برمان على موريس دي كونديك مترجم مقالة بنيامين الشهيرة التي تتناول مسالة الترجمة الحرفية و تدافع عنها بشكل متطرف، في حين "نسي" المترجم نقل جملة في غاية الأهمية بالنسبة لفكرة بنيامين القائلة بالتعارض بين الترجمة و مهمتها و بين نظرية التلقي.

فالخطابي مثلا يعيد صياغة جمل برمان بحيث ينقل الجمل الاعتراضية من مكانها أو يلغيها في بعض الأحيان و يعيد كتابتها بشكل يلغي ما فيها من تكرار أو قلب و تقديم و تأخير فيمحو بذلك أسلوب الكاتب و تدخله في نصه و حضوره فيه مقدما بذلك مثالا حيا عن النزعة إلى العقلنة التي ينتقدها النص الأصل ! و من بين التحريفات التي لاحظناها على طول النص ميل المترجم إلى محو الحرف المائل *italique* و ترجمته بنفس الخط الذي كتب به باقي النص و هكذا يتم ضم الكلمات التي تقصد الكاتب "عزلها" في نصه إلى باقي المتن، في حين

أن كتابة بعض الكلمات بالحرف المائل ليس عملا عشوائيا فهو قد يهدف إلى التأكيد عليها أو إلى الإبقاء على مسافة معينة بينها و بين من يستخدمها...الخ.

أخطاء المعنى:

على أن المترجم، إذ سمح لنفسه أن يعيد ترتيب جمل النص الأصل، وقع في الخطأ المعاكس عندما التصق في كثير من الأحيان بالجمل التصاقا جعله تارة يكتب جملا ركيكة مستنسخة استنساخا و تارة ينتج جملا خاطئة مخالف معناها لمعنى الجمل الأصلية بل و مناقض له و لفكر الكتاب كله عندما لم يفهم تركيب الجمل التي يترجمها. و لن يكون ممكنا بسبب ضيق الحيز أن نقدم جردا وافيا، لذلك سنكتفي ببعض الأمثلة مع تحليل مركز:

1- الخطابي: "...أغلب المترجمين لم يهتموا، لا في الماضي و لا في الحاضر، بهذه العلاقة بالحرف. و لا يقتصر الأمر على عدم اهتمام هؤلاء المترجمين، بل إن أغلب 'النظريات' التي تتأسس انطلاقا من أعمالهم و تنظمها و تبررها أو **تنتقدها**، تدين ما تسميه باحتقار، الترجمة الحرفية..." (صص 43-44 نحن من نشدد). و لنا أن نسأل: ما محل النقد هنا؟ و إن رجعنا إلى النص الفرنسي فسنجد

*« ...mais la plupart des 'théories' de la traduction qui s'édifient à partir de cette opération, la régissent, la justifient ou la **sanctionnent**... » (p25)*

و هنا نفهم أن الأمر لا يتعلق بالنقد بل بالعكس بالتصديق و الموافقة و الإقرار و التأكيد و بهذا يستقيم معنى الجملة و تصير منطقية مفهومة، في حين أن مقابل "النقد" قد تخيله المترجم تخيلا انطلاقا من المعنى الدارج للكلمة الفرنسية: "جازى" أو "عاقب".

2- يقول برمان، في مترجمة الخطابي، عن تصور الترجمة السائد في الغرب : " و يتعين علينا مساءلة هذه الصورة و لربما القيام، انطلاقا من تجربة أكثر أصالة، بهدم ماهية الترجمة و ليس الترجمة في حد ذاتها." (ص44). و لنا أن نسأل أيضا: ما معنى هدم ماهية الترجمة و ليس الترجمة في حد ذاتها؟ لنعد إلى النص الفرنسي:

« C'est cette figure qu'il s'agit de questionner et, peut-être, de détruire, à partir d'une expérience plus originelle ; non pas de traduction, mais de son essence » (p 26)

و نفهم إذا أن مفعول فعل الهدم في اللغة الفرنسية ليس ماهية الترجمة، بل هو الصورة و هو مفعول مضمر و متضمن في الاسم الموصول، و هذا الهدم يتم **انطلاقا من تجربة نخوضها مع ماهية الترجمة**، تجربة تكون أكثر عمقا ! و كفى بهذا المثال دليلا على مستوى الأخطاء التي ارتكبت في هذه المترجمة.

3- الخطابي: " ليس على الترجمة إلا العمل بالحرف الميت، فهي تسعى للإحاطة به، من أجل إدراك الروح الحية و المعنى" (ص51) و هذه الجملة تناقض في حد ذاته و لا معنى لها، أو قد تكون ذات دلالة لو كانت تعبيرا عن رأي أنطوان برمان نفسه، لكن الجملة الفرنسية جاءت بعد شرح أنطوان برمان لفصل بولس بين الروح و الحرف المبني على الفصل الأفلاطوني بين المحسوس و المعقول و هما الفصلان اللذان يؤسسان الترجمة المتمركزة عرقيا، و الجملة تقول:

*« La traduction **n'a que faire** de la lettre morte : elle va, pour le capter, au vif de l'esprit » (32, nous soulignons)*

و هي إذا شرح من قبل برمان، صياغة أخرى بعباراته، للقطيعتين الأفلاطونية و البولسية و ليست رأيه هو، و المترجم، بكل بساطة، لم يفهم التركيب الفرنسي الذي شددنا عليه.

4- الخطابي: " و هكذا، تؤكد الإحاطة بالمعنى دوما، أولوية **اللغة** " (ص 54، التشديد لنا)

و الجملة العربية متناقضة مع ذاتها و مع ما يقوله أنطوان برمان على طول كتابه، فبرمان يقول إن الإحاطة بالمعنى تعني خيانة حرف اللغة الأصل من أجل إخضاعه و إخضاع المعنى لحرف لغة الترجمة:

*« La captation du sens affirme toujours la primauté d'**une** langue » (34, nous soulignons)*

الإمساك بالمعنى يؤكد أولوية لغة واحدة، و ليس اللغة في حد ذاتها (فهذا تناقض)، و هذه اللغة هي اللغة المترجم إليها.

5- الخطابي: " لكن هذا الذي يتم إنكاره – أي المعنى و الحرف – منفصلان و متصلان في الآن نفسه " (ص 63). و لا داعي للحديث عن قواعد الجملة (إفراد اسم لكن و تثنية خبرها) فهذه الأخطاء أشيع في النص من أن يتم ذكرها كلها. و لكن لنقرأ الجملة الفرنسية:

« Mais ce qui est nié – le corps – se venge. La traduction découvre à ses dépens que lettre et sens sont à la fois dissociables et indissociables. » (p42)

و إذا، أسقط المترجم الجملة الفرنسية الأولى و "دمجها" مع الثانية ليكتب جملة عربية واحدة، و كانت النتيجة أن ما يتم إنكاره هو المعنى و الحرف معا، و هو عكس ما تقوله الجملة الأصلية لأن ما تنكره الترجمة المتمركزة عرقيا هو الحرف، لصالح ما تسميه بالمعنى.

6- الخطابي: "كل مكتوب يحافظ في طياته على جزء لا يمكن ترجمته، و قد يكون هذا الجزء رفيعا جدا و محدودا في الشعر، لكنه حقيقي في نص تقني أو قانوني..." ! (ص 64) و هنا لم يفهم المترجم، مرة أخرى، تركيب الجملة الفرنسية و علامات الوقف فيها فقال عكس ما تقوله و الغريب أن في الفقرة السابقة لهذه الجملة ما كان سيعين المترجم على تصحيح فهمه لو أنه قرأ و راجع ما كتبه. و لنقرأ نحن الجملة الفرنسية:

« Tout écrit tient cependant à préserver en lui une part d'intraduisible : très élevée pour la poésie, ***réduite, mais réelle, dans un texte technique ou juridique.*** *» (42, nous soulignons)*

و الجملة التي جاءت في سياق حديث برمان عما يسميه أسطورة استحالة الترجمة كقيمة للنص، أي أن القصيدة التي تتمنع على الترجمة هي قصيدة بحق، تقول كما هو بين، إن كل النصوص فيها شيء من التمنع على الترجمة، و أن هذا الشيء **عال جدا في الشعر**، و محدود في النصوص القانونية و التقنية غير أنه يبقى حقيقيا.

سننهي مداخلتنا بعرض نموذج أو نموذجين لما سنسميه غياب المنطق في تعامل المترجم مع النص، و هو غياب يضرب قروئية النص في الصميم.

1- يعرف هايدغر مفهوم "التجربة" كالتالي في نص برمان (أي في المترجمة الفرنسية للنص الألماني التي استخدمها برمان):

« Faire une expérience avec quoi que ce soit (…) cela veut dire : le laisser venir sur nous, qu'il nous atteigne, nous tombe dessus, nous renverse et nous rende autre. Dans cette expression, 'faire' ne signifie justement pas que nous sommes les opérateurs de l'expérience ; *faire* veut dire ici, comme dans la locution 'faire une maladie', passer à travers, souffrir de bout en bout, endurer, accueillir ce qui nous atteint en nous soumettant à lui… » (p16)

و لا تحتاج هذه العبارة إلى أي شرح فهي مكتفية بذاتها فالقارئ يفهم محورية الفعل الفرنسي *faire* في مفهوم التجربة عند هايدغر، لكن الخطابي يترجم كالآتي: "...و لا تعني لفظة [نقوم] في هذه العبارة بأننا فاعلون في هذه

التجربة، بل تعني هنا، كما هو الأمر في صيغة عايش المرض..." (ص 33). و أقل ما يمكن قوله عن هذه الترجمة أنها استخفاف بنص فيلسوف كانت اللغة و الكلمات و معانيها أساس التفلسف عنده، بل كانت فلسفته كلها "مسيرا إلى اللغة"*acheminement vers la parole*

2- نوع ثان من النماذج التي يتجلى فيها غياب المنطق في تعامل المترجم مع النص الذي يترجمه هو الطريقة التي تعامل فيها مع الأمثلة الترجمية التي ساقها أنطوان برمان لشرح فكرة ما أو نقد ترجمة ما، فهو يأتي بمقاطع في لغات أجنبية (اللاتينية أو الألمانية أو الانكليزية...الخ) و بترجمتها في اللغة المستقبلة (الفرنسية غالبا) ثم يقارن. و بالتالي فما يجب على المترجم العربي أن يفعله هو أن يورد المقطعين كما هما في النص الأصل ثم يردفهما بترجمة يكون هدفها إفهام القارئ المعنى العام للمقطع المعني حتى يكون قادرا على متابعة القراءة، على أن يبقى واضحا له أن المقارنة هنا إنما تعقد بين مقطع انكليزي (مثلا) و ترجمته الفرنسية. لكن المترجم أورد المقاطع الأصل و ترجم ترجماتها الفرنسية إلى العربية فصار الأمر و كأن برمان يعقد مقارنة بين نص لاتيني و مترجمته العربية ! و يزداد الأمر غرابة عندما تخفي المترجمة العربية المنطقة الإشكالية التي توجد في المقطع الفرنسي و التي لأجلها أورده برمان و حولها دار كل نقاشه ! و لنلق نظرة: في الياذة فرجيليوس نجد البيتين التاليين:

Ibant Obscur isolasubnocte per umbram / perquedomosDitisuacuas et inaniaregna

عن ترجمة كلوسوفسكي للبيت الثاني يقول أنطوان برمان (في نص الخطابي): إن لفظة *sola* التي تعني فارغة و وحيدة، قد ترجمة ب"مقفرة"، للحفاظ على المجانسة الصوتية (allitération) مع "مساكن" و "ديس". (ص 167) و لنا أن نسأل مرة أخرى: أين هذه المجانسة الصوتية؟ و عن ترجمة البيت الأول يقول برمان (في نص الخطابي دائما): إن عبارة *IbantObscuri sola sub nocte* ستصبح هي " و ذهب الغامضون تحت الليل المقفر". فهنالك قلب للصفة الفرنسية كما في اللاتينية. لكن مكان القلب تغير داخل البيت الشعري بشكل يسمح للفرنسية بقبوله. (ص 171) و لآخر مرة سنسأل: أين هو قلب الصفة؟ فالصفة في الجملة العربية في مكانها، بل أين هي أصلا الفرنسية التي يتحدث عنها الخطابي؟ و كيف نتوقع من قارئ المترجمة أن يفهم ما يقوله برمان؟ يكفي، لإزالة كل هذا الغموض، أن نورد ترجمة كلوسوفسكي الفرنسية التي أسقطها الخطابي فيصبح كل شيء واضحا أمام القارئ مفهوما له:

Ils allaient obscurs sous la ***d****ésolée nuit* à travers l'ombre / à travers les **d**emeures de **D**is vaines et les royaumes d'inanité.

يبقى أن نقول، لنختم، إن ما رأيناه و هو غيض من فيض، يبين لنا كم هو برمان محق في قوله (مع استبدال "الغربي" عنده "بالعربي" عندنا): "إن قراءة الترجمة عند القارئ [العربي] ليست تجربة مكتملة تامة، بل هي شر لا بد منه "un pis-aller(p 46).

المصادر و المراجع:

1- Barthes, Roland (1984) *Le bruissement de la langue*, Seuil
2- Berman, Antoine (1999) *La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain*, Seuil.
3- Jauss, hans Robert (1978) *Pour une esthétique de la réception*, traduit de l'allemand par Claude maillard, Préface de Jean Starobinski, Gallimard.
4- Sapiro, Gisèle (sous la direction de) (2008) *Translatio. Le marché de la traduction en France à l'heure de la mondialisation*, CNRS Editions.

5-بارث، رولان (1999) هسهسة اللغة، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب.

6-برمان، أنطوان (2010) الترجمة و الحرف أو مقام البعد، ترجمة و تقديم د. عز الدين الخطيبي، مراجعة د. جورج كتورة. المنظمة العربية للترجمة بيروت.

7-بولديك، كريس (2004) النقد و النظرية الأدبية منذ1890، ترجمة خميستي بوغرارة، تقديم يوسف وغليسي، منشورات مخبر الترجمة في الأدب و اللسانيات، جامعة منتوري قسنطينة.

8-جاكمون، ريشار (التنسيق العلمي) (2008): ترجمة العلوم الإنسانية و الاجتماعية في العالم العربي المعاصر. أشغال الندوة المنظمة من طرف مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية و العلوم الإنسانية بتعاون مع مؤسسة كونراد أدناور أيام 25-26-27 أكتوبر 2007 بمقر مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية و العلوم الإنسانية بالدار البيضاء.

9-سلامة-كار، ميريام (1998) الترجمة في العصر العباسي، ترجمة نجيب غزاوي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية.